

## سورة الدخان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكية باتفاق، إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ [الدخان: ١٥]. وهي سبع وخمسون آية. وقيل تسع. وفي مسند الدارمي عن أبي رافع قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين (١) رفعه الثعلبي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له» (٢)، وفي لفظ آخر عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» (٣). وعن أبي أمامة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة» (٤).

### ﴿حَمَّ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٥﴾

إن جعلت ﴿حَمَّ﴾ جواب القسم تم الكلام عند قوله: ﴿الْمُبِينِ﴾ ثم تستدئ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ وإن جعلت ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ جواب القسم الذي هو ﴿الْكِتَابِ﴾ وقفت على ﴿مُنذِرِينَ﴾ وابتدأت ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. وقيل: الجواب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، وأنكره بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به، ولا تكون صفة المقسم به جوابا للمقسم، والهاء في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للقرآن. ومن قال: أقسم بسائر الكتب فقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كنى به عن غير القرآن، على ما تقدم بيانه في أول «الزخرف» والليلة المباركة ليلة القدر. ويقال: ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة القدر. ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب. وروى قتادة عن واثلة أن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزل التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة من رمضان، وأنزل الإنجيل لثمان عشرة خلعت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين مضت من رمضان» (٥). ثم قيل: أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا في هذه الليلة. ثم أنزل نجما نجما في سائر الأيام على حسب اتفاق الأسباب. وقيل: كان ينزل في كل ليلة القدر ما ينزل في سائر السنة. وقيل: كان ابتداء الإنزال في هذه الليلة. وقال عكرمة: الليلة المباركة ها هنا ليلة النصف من شعبان. والأول أصح لقوله تعالى:

(١) إسناده رجاله ثقات : الدارمي (٣٤٢١) في فضائل القرآن .

(٢) ضعيف جداً : الترمذي (٢٨٨٩) في فضائل القرآن وضعفه ، وضعفه الألباني - رحمه الله - هناك .

(٣) ضعيف جداً : الترمذي (٢٨٨٨) في فضائل القرآن وأنكره ، وضعفه الألباني .

(٤) ضعيف جداً : الهيثمي (١٦٨ / ٢) في المجمع ، وقال : «رواه الطبراني في الكبير ، وفيه فضالة بن جبير وهو ضعيف جداً» .

وضعفه الألباني (٥٧٧٢) في ضعيف الجامع ، عن الحسن مرسلأ .

(٥) حسن : وانظر : صحيح الجامع (١٤٩٧) للألباني - رحمه الله .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]. قال قتادة وابن زيد: أنزل الله القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله على نبيه ﷺ في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة (١). وهذا المعنى قد مضى في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويأتي آنفاً إن شاء الله تعالى.

### ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

قال ابن عباس: يحكم الله أمر الدنيا إلى قابل في ليلة القدر ما كان من حياة أو موت أورزق (٢). وقاله قتادة ومجاهد والحسن وغيرهم. وقيل: إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يتغيران، قاله ابن عمر (٣). قال المهدي: ومعنى هذا القول أمر الله عز وجل الملائكة بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عز وجل. وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد (٤). وروى عثمان بن المغيرة قال: قال النبي ﷺ: «تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى» (٥). وعن النبي ﷺ قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا نهارها فإن الله ينزل لغروب الشمس إلى سماء الدنيا يقول ألا مستغفر فأغفر له ألا مبتلى فأعافيه ألا مسترزق فأرزقه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر» (٦) ذكره الثعلبي. وخرج الترمذي بمعناه عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب» (٧). وفي الباب عن أبي بكر الصديق قال أبو عيسى: حديث عائشة لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة، وسمعت محمداً يضعف هذا الحديث، وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير.

قلت: وقد ذكر حديث عائشة مطولاً صاحب كتاب «العروس»، واختار أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة النصف من شعبان، وأنها تسمى ليلة البراءة. وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير هذا الموضوع، وأن الصحيح إنما هي ليلة القدر على ما بيناه. روى حماد بن سلمة قال أخبرنا ربيعة بن كلثوم قال: سألت رجلاً الحسن وأنا عنده فقال: يا أبا سعيد، رأيت ليلة القدر أقي كل رمضان هي؟

(١) لمناقشة هذا الكلام ارجع إلى تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة.

(٢) هكذا فكره البغوي (٧/ ٢٢٧) في تفسيره غير مستد.

قلت وهو حسن: فقد رواه الطبري (٢٥/ ١١٢) في تفسيره، وزاد السيوطي (٥/ ٧٣٩) في الدعوى له للمحكم، والبيهقي وابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٣) في إسناده إلى مجاهد نظر: الطبري (٢٥/ ١١٢) في تفسيره.

(٤) حسن إلى عكرمة: الطبري (٢٥/ ١١٢) في تفسيره، والبغوي (٧/ ٢٢٨) في تفسيره.

(٥) مرسل: الطبري (٢٥/ ١١٢) في تفسيره، وقال ابن كثير (٧/ ١٨٧) في تفسيره: «مرسل، ومثله لا تعرض به المنصوص».

(٦) ضعيف جداً: ابن ماجه (١٣٨٨) في إقامة الصلاة والسنة فيها، عن علي رضي الله عنه وضعفه الألباني هناك.

(٧) ضعيف: الترمذي (٧٣٩) في الصوم، وابن ماجه (٢٣٨٩) في إقامة الصلاة والسنة فيها، وضعفه الألباني هناك.

قال: أي والله الذي لا إله إلا هو، إنها في كل رمضان، إنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كل خلق وأجل ورزق وعمل إلى مثلها<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياء ورزق ومطر حتى الحج؛ يقال: يحج فلان ويحج فلان. وقال في هذه الآية: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى<sup>(٢)</sup>. وهذه الإبانة لإحكام السنة إنما هي للملائكة الموكلين بأسباب الخلق. وقد ذكرنا هذا المعنى آنفاً. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر. ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان؛ وهو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عين من زمانه الليل ها هنا بقوله ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الأجل فيها فلا تلتفتوا إليها. الزمخشري: وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر؛ فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والحسف؛ ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم؛ ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وعن بعضهم: يعطى كل عامل بركات أعماله؛ فيلقى على السنة الخلق مدحه، وعلى قلوبهم هيئته. وقرئ «نفرق» بالتشديد، و«يُفَرِّقُ» كل على بنائه للفاعل ونصب «كُلُّ»، والفارق الله عز وجل. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه «نفرق» بالنون. ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ﴾ كل شأن ذي حكمة؛ أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة.

﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ قال النقاش: الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده. وقال ابن عيسى: هو ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عباده. وهو مصدر في موضع الحال. وكذلك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وهما عند الأخفش حالان؛ تقديرهما: أنزلناه أمرين به وراحمين. المبرد ﴿أَمْرًا﴾ في موضع المصدر، والتقدير: أنزلناه إنزالاً. الفراء والزجاج ﴿أَمْرًا﴾ نصب ﴿يُفَرِّقُ﴾، مثل قولك «يفرق فرقا» فأمر بمعنى فرق فهو مصدر، مثل قولك: يضرب ضرباً. وقيل: ﴿يُفَرِّقُ﴾ يدل على يؤمر، فهو مصدر عمل فيه ما قبله. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الفراء ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ﴿مُرْسِلِينَ﴾ والرحمة النبي ﷺ وقال الزجاج ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول من أجله؛ أي أرسلناه للرحمة. وقيل: هي بدل من قوله: ﴿أَمْرًا﴾ وقيل: هي مصدر. الزمخشري ﴿أَمْرًا﴾ نصب على الاختصاص، جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعنى بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا، كائنا من لدنا، وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا. وفي قراءة زيد بن علي «أمر من عندنا» على هو أمر، وهي تنصر انتصابه على الاختصاص. وقرأ الحسن: «رحمة» على تلك هي رحمة، وهي تنصر انتصابها بأنه مفعول له.

(١) كذا عند الطبري (٢٥ / ١١١) في تفسيره .

(٢) حسن : وقد سبق .

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مَوْقِنِينَ ﴾ ١٥ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٥﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قرأ الكوفيون ﴿ رَبِّ ﴾ بالجر. الباقون بالرفع (١)؛ ردا على قوله ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾. وإن شئت على الابتداء، والخبر لا إله إلا هو. أو يكون خبر ابتداء محذوف؛ تقديره: هو رب السموات والأرض. والجر على البدل من ﴿ رَبِّكُمْ ﴾ وكذلك ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ بالجر فيهما؛ رواه الشيزري عن الكسائي. الباقون بالرفع على الاستئناف. ثم يحتمل أن يكون هذا الخطاب مع المعترف بأن الله خلق السموات والأرض؛ أي إن كنتم موقنين به فاعلموا أن له أن يرسل الرسل، وينزل الكتب. ويجوز أن يكون الخطاب مع من لا يعترف أنه الخالق؛ أي ينبغي أن يعرفوا أنه الخالق؛ وأنه الذي يحيي ويميت. وقيل: الموقن ها هنا هو الذي يريد اليقين ويطلبه؛ كما تقول: فلان ينجد؛ أي يريد نجدا. ويتهم؛ أي يريد تهامة. ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي هو خالق العالم؛ فلا يجوز أن يشرك به غيره ممن لا يقدر على خلق شيء. و﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أي يحيي الأموات ويميت الأحياء. ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ أي مالككم ومالك من تقدم منكم. واتقوا تكذيب محمد لئلا ينزل بكم العذاب. ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ أي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم: إن الله خالقهم؛ وإنما يقولونه لتقليد آبائهم من غير علم فهم في شك. وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعين لهم من غير حجة. وقيل: ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ يضيفون إلى النبي ﷺ الافتراء استهزاء. ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب؛ وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يهري عاقبته.

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ١٦ يَمْشِي النَّاسُ هَذَا عَذَابَ الْيَوْمِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ارتقب معناه انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين؛ قاله قتادة. وقيل: معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين؛ ولذلك سمي الحافظ رقيبا. وفي الدخان أقوال ثلاثة: الأول: أنه من أشرط الساعة لم يجئ بعد، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما يملا ما بين السماء والأرض؛ فاما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، واما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم؛ وهو من آثار جهنم يوم القيامة. ومن قال إن الدخان لم يأت بعد: علي وابن عباس وابن عمرو وأبو هريرة وزيد ابن علي والحسن وابن أبي مليكة وغيرهم. وروى أبو سعيد الخدري مرفوعا أنه «دخان يهيج بالناس يوم القيامة؛ يأخذ المؤمن منه كالزكمة. وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه»؛ ذكره الماوردي (٢). وفي «صحيح مسلم» عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة؛ قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم

(١) قراءة متواترة: تعريب النشر (ص ١٧٢). (٢) الماوردي (٥ / ٢٤٧) في تفسيره.

وخروج يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»<sup>(١)</sup>. وفي رواية عن حذيفة: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس». وخرجه الثعلبي أيضا عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول الآيات خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن آيين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتصبح معهم إذا أصبحوا وتمسي معهم إذا أمسوا». قلت: يا نبي الله، وما الدخان؟ قال هذه الآية: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ يَلْمَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً أَمَا الْمُؤْمِنُ فَيَصْبِيهِ مِنْهُ شِبْهُ الزَّكَاةِ وَالْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السُّكْرَانِ يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فَمِهِ وَمَنْخَرِهِ وَعَيْنِيهِ وَأُذُنِهِ وَدَبْرِهِ»<sup>(٢)</sup>. فهذا قول. القول الثاني: أن الدخان هو ما أصاب قريشا من الجوع بدعاء النبي ﷺ. حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا؛ قاله ابن مسعود. قال وقد كشفه الله عنهم، ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم. والحديث عنه بهذا في «صحيح البخاري» ومسلم والترمذي. قال البخاري: حدثني يحيى قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال: قال عبدالله: إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهية الدخان من الجهد؛ فأنزل الله تعالى: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ». قال: فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسقى الله لمضر فإنها قد هلكت. قال: «لمضر! إنك لجريء» فاستسقى فسقوا؛ فنزلت ﴿إِنكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية؛ فأنزل الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَبْطِئُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر<sup>(٣)</sup>. قال أبو عبيدة: والدخان الجذب. القتيبي سمي دخانا لئس الأرض منه حين يرتفع منها كالدخان. القول الثالث: إنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغيرة؛ قاله عبدالرحمن الأعرج.

قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ في موضع الصفة للدخان، فإن كان قد مضى على ما قال ابن مسعود فهو خاص بالمشركين من أهل مكة، وإن كان من أشراط الساعة فهو عام على ما تقدم. ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يقول الله لهم: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فمن قال: إن الدخان قد مضى فقوله: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حكاية حال ماضية، ومن جعله مستقبلا، فهو حكاية حال آتية. وقيل: ﴿هَذَا﴾ بمعنى ذلك. وقيل: أي يقول الناس لذلك الدخان ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقيل: هو إخبار عن دنو الأمر؛ كما تقول: هذا الشتاء فأعد له.

(١) صحيح : مسلم (٢٩٠١) في الفتن وأشراط الساعة .

(٢) ضعيف جداً : رواد بن الجراح صدوق اختلف بأخرة متروك ، وابنه عصام : فيه لين : وكذا رواه الطبري (٢٥/١١٧) في تفسيره .

(٣) متفق عليه : البخاري (٤٨٢١) في التفسير ، ومسلم (٢٧٩٨) في صفات المنافقين وأحكامهم .

## ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أي يقولون ذلك: اكشف عنا العذاب فـ ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي تؤمن بك إن كشفته عنا. قيل: إن قريشا أتوا النبي ﷺ وقالوا: إن كشف الله عنا هذا العذاب أسلمنا، ثم نقضوا هذا القول. قال قتادة: ﴿الْعَذَابُ﴾ هنا الدخان. وقيل: الجوع؛ حكاة النقاش.

قلت: ولا تناقض؛ فإن الدخان لم يكن، إلا من الجوع الذي أصابهم؛ على ما تقدم. وقد يقال للجوع والقحط: الدخان؛ لبيس الأرض في سنة الجذب وارتفاع الغبار بسبب قلة الأمطار؛ ولهذا يقال لسنة الجذب: الغبراء. وقيل: إن العذاب هنا الثلج. قال الماوردي: وهذا لا وجه له؛ لأن هذا إنما يكون في الآخرة أو في أهل مكة، ولم تكن مكة من بلاد الثلج؛ غير أنه مقول فحكيناها.

## ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾ أي من أين يكون لهم التذكير والانتعاض عند حلول العذاب. ﴿قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يبين لهم الحق، والذكري والذكر واحد؛ قاله البخاري. ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي عرضوا. قال ابن عباس: أي متى يتعظون والله أبعدهم من الانتعاض والتذكر بعد توليهم عن محمد ﷺ وتكذيبهم إياه. وقيل: أي أنى ينفعهم قولهم: ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ بعد ظهور العذاب غدا أو بعد ظهور أعلام الساعة، فقد صارت المعارف ضرورية. وهذا إذا جعلت الدخان آية مرتقبة. ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي علمه بشر أو علمه الكهنة والشياطين، ثم هو مجنون وليس برسول.

## ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي وقتا قليلا، وعد أن يكشف عنهم ذلك العذاب قليلا؛ أي في زمان قليل ليعلم أنهم لا يفون بقولهم، بل يعودون إلى الكفر بعد كشفه؛ قاله ابن مسعود. فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي ﷺ عادوا إلى تكذيبه. ومن قال: إن الدخان منتظر قال: أشار بهذا إلى ما يكون من الفرجة بين آية وآية من آيات قيام الساعة. ثم من قضى عليه بالكفر يستمر على كفره. ومن قال هذا في القيامة قال: أي لو كشفنا عنكم العذاب لعدتم إلى الكفر. وقيل: معنى ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إينا؛ أي مبعوثون بعد الموت. وقيل: المعنى ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى نار جهنم إن لم تؤمنوا.

## ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ﴾ محمول على ما دل عليه ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾؛ أي نتقم منهم يوم نبطش. وأبعده بعض النحويين بسبب أن ما بعد «إن» لا يفسر ما قبلها. وقيل: إن العامل فيه ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾ وهو بعيد أيضا؛ لأن ما بعد «إن» لا يعمل فيما قبلها. ولا يحسن تعلقه بقوله: ﴿عَائِدُونَ﴾ ولا بقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾؛ إذ ليس المعنى عليه. ويجوز نصبه بإضمار فعل؛ كأنه قال: ذكرهم أو أذكر. ويجوز أن يكون المعنى فإنهم عائدون، فإذا عدتم انتقم منكم يوم نبطش البطشة الكبرى. ولهذا وصل هذا

بقصة فرعون، فإنهم وعدوا موسى الإيمان إن كشف عنهم العذاب، ثم لم يؤمنوا حتى غرقوا. وقيل: ﴿إِنَّا كَاشَفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ كلام تام. ثم ابتداء ﴿يَوْمَ نَبِّئُ الْبَاطِنَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ أي ننتقم من جميع الكفار. وقيل: المعنى وارتقب الدخان وارتقب يوم نبئش، فحذف واو العطف؛ كما تقول: اتق النار اتق العذاب. و﴿الْبَاطِنَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ في قول ابن مسعود: يوم بدر. وهو قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد والضحاك. وقيل: عذاب جهنم يوم القيامة؛ قاله الحسن وعكرمة وابن عباس أيضا، واختاره الزجاج. وقيل: دخان يقع في الدنيا، أو جوع أو قحط يقع قبل يوم القيامة. الماوردي: ويحتمل أنها قيام الساعة؛ لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا. ويقال: انتقم الله منه؛ أي عاقبه. والاسم منه النعمة والجمع النعمات. وقيل بالفرق بين النعمة والعقوبة؛ فالعقوبة بعد المعصية لأنها من العاقبة. والنعمة قد تكون قبلها؛ قاله ابن عباس. وقيل: العقوبة ما تقدرت والانتقام غير مقدر.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

أي ابتليناهم. ومعنى هذه الفتنة والابتلاء الأمر بالطاعة. والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعثة موسى إليهم فكذبوا فاهلكوا؛ فهكذا أفعال بأعدائك يا محمد إن لم يؤمنوا. وقيل: فتناهم عذبناهم بالفرق. وفي الكلام تقديم وتأخير؛ والتقدير: ولقد جاء آل فرعون رسول كريم وفتناهم، أي أغرقناهم؛ لأن الفتنة كانت بعد مجيء الرسل. والواو لا ترتب. ومعنى ﴿كَرِيمٌ﴾ أي كريم في قومه. وقيل: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح. وقال الفراء: كريم على ربه إذ اختصه بالنبوة وإسماع الكلام.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ اللَّهُ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ

مُبِينٍ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: المعنى جاءهم فقال: اتبعوني. ف﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ منادى. وقال مجاهد: المعنى أرسلوا معي عباد الله وأطلقوهم من العذاب. ف﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ على هذا مفعول. وقيل: المعنى أدوا إلي سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربي. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي أمين على الوحي فأقبلوا نصحي. وقيل: أمين على ما أستاذه منكم فلا أخون فيه. ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ اللَّهُ﴾ أي لا تتكبروا عليه ولا ترتفعوا عن طاعته. وقال قتادة: لا تبغوا على الله. ابن عباس: لا تفتروا على الله. والفرق بين البغي والافتراء: أن البغي بالفعل والافتراء بالقول. وقال ابن جريج: لا تعظموا على الله. يحيى بن سلام: لا تستكبروا على عبادة الله. والفرق بين التعظيم والاستكبار: أن التعظيم تطاول المقتدر، والاستكبار ترفع المحتقر؛ ذكره الماوردي ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال قتادة: بعذر بين. وقال يحيى بن سلام بحجة بينة. والمعنى واحد؛ أي برهان بين.

﴿وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرَجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾

كانهم توعدوه بالقتل فاستجار بالله. قال قتادة: ﴿تَرَجُمُونِ﴾ بالحجارة. وقال ابن عباس: تشتمون؛ فتقولوا ساحر كذاب. وأظهر الذال من ﴿عَدْتُ﴾ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم

ويعقوب. وأدغم الباقون<sup>(١)</sup>. والإدغام طلباً للتخفيف، والإظهار على الأصل. ثم قيل: إني عدت بالله فيما مضى؛ لأن الله وعده فقال: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: ٣٥]. وقيل: إني أعوذ؛ كما تقول نشدتك بالله، وأقسمت عليك بالله؛ أي أقسم.

﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَىٰ فَاعْتَرِلُونِ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ﴾ أي إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني؛ فاللام في ﴿لِي﴾ لام أجل. وقيل: أي وإن لم تؤمنوا بي؛ كقوله ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦] أي به. ﴿فَاعْتَرِلُونِ﴾ أي دعوني كفافاً لا لي ولا علي؛ قاله مقاتل. وقيل: أي كونوا بمعزل مني وأنا به معزل منكم إلى أن يحكم الله بيننا. وقيل: فخلوا سبيلي وكفوا عن أذائي. والمعنى متقارب، والله أعلم.

﴿ فَدَعَارَبَهُ أَنْ هَتَّؤَلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَدَعَارَبَهُ﴾ فيه حذف؛ أي فكفروا فدعاه ربه. ﴿أَنْ هَتَّؤَلَاءِ﴾ بفتح ﴿أَنْ﴾ أي بأن هؤلاء. ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ أي مشركون، قد امتنعوا من إطلاق بنى إسرائيل ومن الإيمان.

﴿ فَأَسْرِبِبَادِي لَيْلًا إِنْكُمْ مُّتَّبِعُونَ ۝ ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِبِبَادِي لَيْلًا﴾ أي فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أسر بعبادي؛ بمن آمن بالله من بني إسرائيل. ﴿لَيْلًا﴾ أي قبل الصباح ﴿إِنْكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ وقرأ أهل الحجاز «فأسر» بوصل الالف<sup>(٢)</sup>. وكذلك ابن كثير؛ من سرى. الباقون ﴿فأسر﴾ بالقطع؛ من أسرى. وقد تقدم. وتقدم خروج فرعون وراء موسى في البقرة والأعراف وطه والشعراء ويونس وإغراقه وإنجاء موسى؛ فلا معنى للإعادة.

الثانية: أمر موسى عليه السلام بالخروج ليلاً. وسير الليل في الغالب إنما يكون عن خوف، والخوف يكون بوجهين: إما من العدو فيتخذ الليل سترًا مسدلاً؛ فهو من أستر الله تعالى. وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان بحرًا أو جذب، فيتخذ السرى مصلحة من ذلك. وكان النبي ﷺ يسري ويدلج<sup>(٣)</sup> ومتفرق ويستعجل، بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا سافرت في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض وإذا سافرت في السنة<sup>(٤)</sup> فبادروا بها نقيها»<sup>(٥)</sup>. وقد مضى في أول «النحل»؛ والحمد لله.

﴿ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّفْرَقُونَ ۝ ﴾

قال ابن عباس: ﴿رَهْوًا﴾ أي طريقًا. وقاله كعب والحسن. وعن ابن عباس أيضًا سمنا الضحاك والربيع: سهلاً. عكرمة: يساً، لقوله: ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسًّٰٓءًا﴾ [طه: ٧٧] وقيل: مفترقا.

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ٥١).

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٢٥).

(٣) يسرى ويدلج: يسير بالليل، ويدلج: يسير أول الليل. النهاية (٢/ ١٢٩، ٢٦٤) لابن الأثير.

(٤) السنة: الجذب. النهاية (٢/ ١٢٩، ٢٦٤) لابن الأثير (٥) صحيح: وقد سبق.

مجاهد: منفرجا. وعنه يابساً. وعنه ساكنا، وهو المعروف في اللغة. وقاله قتادة والهروي. وقال غيرهما: منفرجا. وقال ابن عرفة: وهما يرجعان إلى معنى واحد وإن اختلف لفظاهما، لأنه إذا سكن جريه انفرج. وكذلك كان البحر يسكن جريه وانفرج لموسى عليه السلام. والرهو عند العرب: الساكن، يقال: جاءت الخيل رهوا، أي ساكنة. قال:

والخيل تَمَزَعُ رَهْوَاً فِي أَعْتَهَا كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي الْبَرْدِ

الجوهري: ويقال أفعال ذلك رهوا، أي ساكنا على هيتك. وعيش راه، أي ساكن رافه. وخمس راه، إذا كان سهلا. ورها البحر أي سكن. وقال أبو عبيد: رها بين رجله يرهو رهوا أي فتح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَاً﴾: السير السهل، يقال: جاءت الخيل رهوا. قال ابن الأعرابي: رها يرهو في السير أي رفق. قال القطامي في نعت الركاب:

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَنْكَلُ

والرهو والرهوة: المكان المرتفع، والمنخفض أيضا يجتمع فيه الماء، وهو من الأضداد. وقال أبو عبيد: الرهو: الجوبة تكون في محلة القوم يسيل فيها ماء المطر وغيره. وفي الحديث أنه قضى أن «لا شفعة في فناء ولا طريق ولا منقبة ولا ركح ولا رهو»<sup>(١)</sup>. والجمع رهاء. والرهو: المرأة الواسعة الهن. حكاه النضر بن شميل. والرهو: ضرب من الطير، ويقال: هو الكركي. قال الهروي: ويجوز أن يكون ﴿رَهْوَاً﴾ من نعت موسى - وقاله القشيري - أي سر ساكنا على هيتك؛ فالرهو من نعت موسى وقومه لا من نعت البحر، وعلى الأول هو من نعت البحر؛ أي اتركه ساكنا كما هو قد انفرق فلا تأمره بالانضمام. حتى يدخل فرعون وقومه. قال قتادة: أراد موسى أن يضرب البحر لما قطعه بعصاه حتى يلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون فليل له هذا. وقيل: ليس الرهو من السكون بل هو الفرجة بين الشيتين؛ يقال: رها ما بين الرجلين أي فرج. فقوله ﴿رَهْوَاً﴾ أي منفرجا. وقال الليث: الرهو: مشي في سكون، يقال: رها يرهو رهوا فهو راه. وعيش راه: وادع خافض. وافعل ذلك سهوا رهوا؛ أي ساكنا بغير شدة. وقد ذكرناه آنفا. ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إن فرعون وقومه. ﴿جُنْدٌ مُفْرَقُونَ﴾ أخبر موسى بذلك ليسكن قلبه.

﴿كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ كَمْ﴾ للكثير. وقد مضى الكلام في معنى هذه الآية في «الشعراء» مستوفى. ﴿وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ النعمة بالفتح التنعيم، يقال: نعمه الله وناعمه فتنعم. وامرأة منعمة ومناعمة، بمعنى. والنعمة بالكسر: اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به عليك. وكذلك النعمى. فإن فتحت النون مددت وقلت: النعماء. والتنعيم مثله. وفلان واسع النعمة، أي واسع المال؛ جميعه عن الجوهري. وقال ابن عمر: المراد بالنعمة نيل مصر. ابن لهيعة: الفيوم. ابن زياد: أرض مصر لكثرة خيرها. وقيل: ما كانوا فيه من السعة والدعة. وقد يقال: نعمة ونعمة بفتح النون وكسرهما، حكاه الماوردي. قال: وفي الفرق بينهما وجهان: أحدهما: أنها بكسر النون في الملك، ويفتحها في البدن والدين، قاله النضر بن شميل. الثاني: أنها بالكسر من المنة وهو

(١) هذا عند ابن الأثير (٢/ ٢٥٨) في النهاية وبعضه عند أحمد (٦/ ١١٢) في المسند، عن عائشة - رضي الله عنها - وفيه «لا يجمع نفع ماء ولا بئر» والمنقبة: الطريق بين الدارين. الركح: بضم الراء ناحية البيت من ورائه. النهاية.

الإفضال والعطية؛ وبالفتح من التنعيم وهو سعة العيش والراحة؛ قاله ابن زياد.  
قلت: هذا الفرق هو الذي وقع في الصحاح وقد ذكرناه. وقرأ أبو رجاء والحسن وأبو الأشهب والأعرج وأبو جعفر وشيبة «فكهين» بغير ألف (١)، ومعناه أشرين بطرين. قال الجوهري: فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا. والعكة أيضا الأشر البطر. وقرئ: «ونعمة كانوا فيها فكهين» أي أشرين بطرين. و﴿فَاكِهِين﴾ أي ناعمين. القشيري ﴿فَاكِهِين﴾ لاهين مازحين، يقال: إنه لفاكه أي مزاح. وفيه فكاهة أي مزح. الثعلبي: وهما لغتان كالحاذر والحذر، والفاره والفره. وقيل: إن الفاكه هو المستمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الأكل بأنواع الفاكهة. والفاكهة: فضل عن القوت الذي لا بد منه.

### ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١٣٧)

قال الزجاج: أي الأمر كذلك؛ فيوقف على ﴿كَذَلِكَ﴾. وقيل: إن الكاف في موضع نصب، على تقدير نفع فعل فعلا كذلك بمن نريد إهلاكه. وقال الكلبي ﴿كَذَلِكَ﴾ أفعل بمن عصاني. وقيل: ﴿كَذَلِكَ﴾ كان أمرهم فأهلكوا. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بنى إسرائيل، ملكهم الله تعالى أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين؛ لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث. ونظيره ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] الآية.

### ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (١٣٨)

قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: لكفرهم. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين بالغرق. وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض؛ أي عمت مصيبته الأشياء حتى بكته السماء والأرض والريح والبرق، وبكته الليالي الشاتيات. قال الشاعر:

فالريحُ تبكي شَجْوَهَا      والبرقُ يلمع في الغمامة

وقال آخر:

والشَّمْسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ      تُبكي عليك نجومَ الليلِ والقمرِ

وقالت الخارجية:

أيا شجرَ الخأبُورِ ما لك مُورِقاً      كأنك لم تجزع على ابن طَريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه. والمعنى أنهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فقد. وقيل: في الكلام إضمار، أي ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] بل سروا بهلاكهم، قاله الحسن. وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فإذا مات فقداه فبكيا عليه» ثم تلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ (٢). يعني أنهم لم يعملوا على الأرض عملا صالحا تبكي عليهم لأجله،

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٦٥).

(٢) ضعيف: الترمذي (٣٢٥٥) في تفسير القرآن وفيه موسى بن عبيدة وهو الرّبذني، منهم، ويزيد الرقاشي: =

ولا صعد لهم إلى السماء عمل صالح فتبكي ففقد ذلك . وقال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحا . قال أبو يحيى: فعمجت من قوله فقال: أتعجب ! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود ! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل (١) ! . وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما: إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء . وتقدير الآية على هذا: فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض (٢) . وهو معنى قول سعيد بن جبير (٣) . وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه: أحدها: أنه كالمعروف من بكاء الحيوان . ويشبه أن يكون قول مجاهد . وقال شريح الحضرمي قال النبي ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء يوم القيامة قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين إذا فسد الناس صلحوا» ثم قال: «ألا لا غربة على مؤمن وما مات مؤمن في غربة غائبا عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ ثم قال: «ألا إنهما لا يبكيان على الكافر» (٤) .

قلت: وذكر أبو نعيم محمد بن معمر قال: حدثنا أبو شعيب الحراني قال حدثنا يحيى بن عبدالله قال حدثنا الأوزاعي قال حدثني عطاء الخراساني قال: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت (٥) . وقيل: بكاؤهما حمرة أطرافهما؛ قاله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وعطاء والسدي والترمذي محمد بن علي وحكاه عن الحسن (٦) . قال السدي: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء؛ وبكاؤها حمرتها (٧) . وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أربعة أشهر (٨) . قال يزيد: واحمرارها بكاؤها (٩) . وقال محمد بن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما (١٠) . وقال سليمان القاضي: مطرنا دما يوم قتل الحسين (١١) .

= ضعيف وضعفه الألباني هناك .

- (١) ضعيف: الطبري (٢٥ / ١٢٨) في تفسيره، وفيه: أبو يحيى القتات وفي حديثه لين وإن كان قد رواه بسند آخر حسن .  
 (٢) أما قول ابن عباس فسنده حسن من طريق سعيد بن جبير - رحمه الله .  
 (٣) حسن: بالإسناد السابق .  
 (٤) مرسل: الطبري (٢٥ / ١٢٩) في تفسيره ، وقال العجلوني (١ / ٣٣٣) في كشف الخفاء: «مرسل» .  
 والطرف الأول منه صحيح ، وقد سبق .  
 (٥) وبإسناد آخر عند الطبري (٢٥ / ١٢٨) في تفسيره . وهذا الإسناد رجاله ثقات عن أبي نعيم (٥ / ١٩٧) في الخلية .  
 (٦) لم أجده مستندا من علي - رضي الله عنه .  
 (٧) موضوع: فيه الحكم بن ظهيرة وهو متروك ، ورواه الطبري (٢٥ / ١٢٨) في تفسيره .  
 (٨ - ١١) قال ابن كثير - رحمه الله (٨ / ٥٧٢ ، ٥٧٣) في البداية والنهاية :

« ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة ، كذبًا فاحشًا من هجون الشمس كشفت يومئذ حتى بدت النجوم ، وما رفع يومئذ حجرًا إلا وجد تحته دمٌ ، وأن أرجاء السماء احمرت ، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم ، وصارت السماء كأنها علقة ، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضًا ، وأمطرت السماء دماءً أحمر ، وأن الحمرة لم تكن في السماء يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر ، وأن رأس الحسين لما دخلوا به =

قلت: روى الدارقطني من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «الشفق الحمرة» (١). وعن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قالوا: الشفق شفقان: الحمرة والبياض؛ فإذا غابت الحمرة حلت الصلاة. وعن أبي هريرة قال: الشفق الحمرة. وهذا يرد ما حكاه ابن سيرين. وقد تقدم في «سبحان» عن قرة بن خالد قال: ما بكت السماء على أحد إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي، وحمرتها بكاؤها (٢). وقال محمد بن علي الترمذي: البكاء إدرار الشيء فإذا أدت العين بمائها قيل بكت، وإذا أدت السماء بحمرتها قيل بكت، وإذا أدت الأرض بغيرتها قيل بكت؛ لأن المؤمن نور ومعه نور الله؛ فالأرض مضيئة بنوره وإن غاب عن عينيك، فإن فقدت نور المؤمن اغبرت فدرت باغبرارها؛ لأنها كانت غبراء بخطايا أهل الشرك، وإنما صارت مضيئة بنور المؤمن؛ فإذا قبض المؤمن منها درت بغيرتها. وقال أنس: لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضاء كل شيء، فلما كان اليوم الذي قبض فيه أظلم كل شيء، وأنا لفي دفنه ما نفصنا الأيدي منه حتى أنكرنا قلوبنا (٣). وأما بكاء السماء فحمرتها كما قال الحسن. وقال نصر بن عاصم: إن أول الآيات حمرة تظهر، وإنما ذلك لدنو الساعة، فتدر بالبكاء لخلائها من أنوار المؤمنين. وقيل: بكاؤها أمانة تظهر منها تدل على أسف وحزن.

قلت: والقول الأول أظهر؛ إذ لا استحالة في ذلك. وإذا كانت السموات والأرض تسبح وتسمع وتتكلم كما بيناه في «الإسراء ومريم وحمل فصلت» فكذلك تبكي، مع ما جاء من الخبر في ذلك والله أعلم بصواب هذه الأقوال.

### ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٥٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

يعني ما كانت القبط تفعل بهم بأمر فرعون، من قتل الأبناء واستخدام النساء، واستعبادهم إياهم وتكلفتهم الأعمال الشاقة. ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ ﴾ بدل من ﴿ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ فلا تتعلق ﴿ مِنْ ﴾ بقوله: ﴿ مِنْ الْعَذَابِ ﴾ لأنه قد وصف، وهو لا يعمل بعد الوصف عمل الفعل. وقيل: أي أنجيناهم من العذاب ومن فرعون. ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي جبارا من المشركين. وليس هذا علو مدح بل هو علو في الإسراف كقوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤٤]. وقيل: هذا العلو هو الترفع عن عبادة الله.

### ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْمَسْلُومِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي على علم منا بهم لكثرة

= قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دما، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمض رغبان ولا ورس بما كان يومئذ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بين المقدس إلا ظهر تحته دم هبيط - طرى - وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم، إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعية التي لا يصح منها شيء. ١. هـ.

(١) ضعيف: الدارقطني (١/ ٢٦٩) في سننه، وضعفه الألباني (٣٤٤٠) في ضعيف الجامع.

(٢) انظر قبل السابق.

(٣) صحيح: الترمذي (٣٦١٨) في المناقب، وابن ماجه (١٦٣١) في الجنائز وصححه الألباني هناك.

الأنبياء منهم. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي عالمي زمانهم (١)، بدليل قوله لهذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وهذا قول قتادة وغيره. وقيل: على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء. وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم؛ حكاها ابن عيسى والزمخشري وغيرهما. ويكون قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي بعد بني إسرائيل. والله أعلم. وقيل: يرجع هذا الاختيار إلى تخليصهم من الغرق وإيراثهم الأرض بعد فرعون.

### ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْأَيْتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْأَيْتِ﴾ أي من المعجزات لموسى ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ قال قتادة: الآيات إنجاوزهم من فرعون وقلق البحر لهم، وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى. ويكون هذا الخطاب متوجها إلى بني إسرائيل. وقيل: إنها العصا والسيد. ويشبه أن يكون قول الفراء. ويكون الخطاب متوجها إلى قوم فرعون. وقول ثالث: إنه الشر الذي كشفهم عنه والخبر الذي أمرهم به؛ قاله عبدالرحمن بن زيد (٢). ويكون الخطاب متوجها إلى الفريقين معا من قوم فرعون وبني إسرائيل. وفي قوله: ﴿بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ أربعة أوجه: أحدها: نعمة ظاهرة؛ قاله الحسن وقاتدة. كما قال الله تعالى: ﴿وَلِيَلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]. وقال زهير:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى

الثاني: عذاب شديد؛ قاله الفراء. الثالث: اختبار يتميز به المؤمن من الكافر؛ قاله عبدالرحمن ابن زيد. وعنه أيضا: ابتلاؤهم بالرخاء والشدة؛ ثم قرأ ﴿وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنَسَاءً﴾ (٣) [الأنبياء: ٣٥].

﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ

### صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ يعني، كفار قريش ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ ابتداء وخبر؛ مثل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الاعراف: ١٥٥]، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي بمبعوثين. ﴿فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنشر الله الموتى فنشروا. وقد تقدم. والمنشورون المبعوثون. قيل: إن قائل هذا من كفار قريش أبو جهل، قال: يا محمد، إن كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من آباءنا: أحدهما: قصي بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا؛ نسأله عما يكون بعد الموت. وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات؛ لأن الإعادة إنما هي للجزاء لا للتكليف؛ فكانه قال: إن كنت صادقا في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف. وهو كقول قائل لو قال: إن كان ينشأ بعدنا قوم من الآباء؛ فلم لا يرجع من مضى من الآباء؛ حكاها الماوردي. ثم قيل: ﴿فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا﴾ مخاطبة وللنبي ﷺ وحده؛ كقوله ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] قاله الفراء. وقيل: مخاطبة له ولاتباعه.

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٥/ ١٣) في تفسيره.

(٢) صحيح إليه: السابق (٢٥/ ١٣١).

(٣) انظر السابق (٢٥/ ١٣١).

﴿ أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكَ كُنْتُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَسَعِينِ ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ ﴾ هذا استفهام إنكار؛ أي إنهم مستحقون في هذا القول العذاب؛ إذ ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة، وإذا أهلكنا أولئك فكذا هؤلاء. وقيل: المعنى أهم أظهر نعمة وأكثر أموالا أم قوم تبع. وقيل: أهم أعز وأشد وأمنع أم قوم تبع. وليس المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد به ملوك اليمن؛ فكانوا يسمون ملوكهم التبابعة. فتبع لقب للملك منهم كالخليفة للمسلمين، وكسرى للفرس، وقيصر للروم. وقال أبو عبيدة: سمي كل واحد منهم تبعا لأنه يتبع صاحبه. قال الجوهري: والتبابعة ملوك اليمن، واحدهم تبع. والتبع أيضا الظل؛ وقال: يرد المياه حضية ونفيضة وردد القطاة إذا سئمت التببع

والتبع أيضا ضرب من الطير. وقال السهيلي: تبع اسم لكل ملك ملك اليمن والشحر وحضرموت. وإن ملك اليمن وحدها لم يقل له تبع؛ قاله المسعودي. فمن التبابعة: الحارث الرائش وهو ابن همال ذي سدد. وأبرهة ذو المنار. وعمرو ذو الأذعار. وشمر بن مالك، الذي تنسب إليه سمرقند. وأفريقيس بن قيس، الذي ساق البربر إلى إفريقية من أرض كنعان، وبه سميت إفريقية. والظاهر من الآيات: أن الله سبحانه إنما أراد واحدا من هؤلاء، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشد من معرفة غيره؛ ولذلك قال عليه السلام: «ولا أدري أتبع لعين أم لا»<sup>(١)</sup>. ثم قد روي عنه أنه قال: «لا تسبوا تبعا فإنه كان مؤمنا»<sup>(٢)</sup> فهذا يدل على أنه كان واحدا بعينه؛ وهو - والله أعلم - أبو كرب الذي كسا البيت بعد ما أراد غزوه، وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها، ثم انصرف عنها لما أخبر أنها مهاجرة نبي اسمه أحمد. وقال شعرا أودعه عند أهلها؛ فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ فأدوه إليه. ويقال: كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد. وفيه:

شهدتُ على أحمد أنه رسولُ من الله باري النَّسَمِ  
فلو مدَّ عمري إلى عمره لكنتُ وزيراً له وابنَ عمِّ

وذكر الزجاج وابن أبي الدنيا والزمخشري وغيرهم أنه حفر قبر له بصنعاء - ويقال بناحية حمير - في الإسلام، فوجد فيه امرأتان صحيحتان، وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب «هذا قبر حبي وليس» ويروى أيضا حبي وقماض ويسروى أيضا «هذا قبر رضوي وقبر حب ابنتي تبع، ماتتا وهما يشهدان أن لا إله إلا الله ولا يشركان به شيئا؛ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما»<sup>(٣)</sup>. قلت: وروى ابن إسحاق وغيره أنه كان في الكتاب الذي كتبه: «أما بعد، فإني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل

(١) صحيح: أبو داود (٤٦٧٤) في السنة، والحاكم (٢١٧٤) في المستدرک، عن ابن عباس - رضي الله عنهما، وصححه الألباني هناك.

(٢) صحيح: صححه الألباني (٧٣١٩) في صحيح الجامع.

(٣) فيها ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.

ما جاء من ربك من شرائع الإسلام؛ فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي ولا تتسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام». ثم ختم الكتاب ونقش عليه ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. وكتب على عنوانه «إلى محمد بن عبدالله نبي الله ورسوله، خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ». من تبع الأول<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا بقية خبره وأوله في «اللمع اللؤلؤية شرح العشر بينات النبوية» للفارابي رحمه الله. وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا يزيد ولا ينقص.

واختلف: هل كان نبيا أو ملكا؟ فقال ابن عباس: كان تبع نبيا<sup>(٢)</sup>. وقال كعب: كان تبع ملكا من الملوك، وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم<sup>(٣)</sup>، وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً<sup>(٤)</sup>. وحكى قتادة أن تبعاً كان رجلاً من حمير، سار بالجنود حتى عبر الحيرة وأتى سمرقند فهدهما<sup>(٥)</sup>؛ حكاه الماوردي. وحكى الثعلبي عن قتادة أنه تبع الحميري، وكان سار بالجنود حتى عبر الحيرة، وبنى سمرقند وقتل وهدم البلاد. وقال الكلبي: تبع هو أبو كرب أسعد بن ملك يكرب، وإنما سمي تبعاً لأنه تبع من قبله. وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت الحبريات<sup>(٦)</sup>. وقال كعب: ذم الله قومه ولم يذمه، وضرب بهم لقريش مثلاً لقريش من دارهم وعظمتهم في نفوسهم؛ فلما أهلكهم الله تعالى ومن قبلهم - لأنهم كانوا مجرمين - كان من أجزم مع ضعف اليد وقلة العدد أحرى بالهلاك. وافتخر أهل اليمن بهذه الآية، إذ جعل الله قوم تبع خيراً من قريش. وقيل: سمي أولهم تبعاً لأنه أتبع قرن الشمس وسافر في الشرق مع العساكر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع عطف على ﴿قَوْمٌ تَبِعَ﴾. ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ صلته. ويكون ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ متعلقاً به. ويجوز أن يكون ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ صلة ﴿الَّذِينَ﴾ ويكون في الظرف عائد إلى الموصول. وإذا كان كذلك كان ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ على أحد أمرين: إما أن يقدر معه «قد» فيكون في موضع الحال. أو يقدر حذف موصوف؛ كأنه قال: قوم أهلكتهم. والتقدير أفلا تعتبرون أنا إذا قدرنا على إهلاك هؤلاء المذكورين قدرنا على إهلاك المشركين. ويجوز أن يكون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ابتداء خبره ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع جر عطفاً على ﴿تَبِعَ﴾ كأنه قال: قوم تبع المهلكين من قبلهم. ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصب بإضمار فعل دل عليه ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ أي غافلين، قاله مقاتل. وقيل:

(١) فيها ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنتنه.

(٢) لم أجده مستنداً.

(٣) ذكره السيوطي (٥/ ٧٥٠) في الدر المنثور مطولاً، وعزاه لابن المنذر وابن عساكر، عن ابن عباس.

(٤) صحيح: صححه الحاكم (٢/ ٤٨٨) في المستدرک، وفيه: «ألا ترى أن الله ذم قومه ولم يتركه».

(٥) صحيح إليه: الطبري (٢٥/ ١٣٢) في تفسيره.

(٦) الحبريات: جمع حبرة، وهي ضرب من برود اليمن. اللسان «حبر».

لا هين؛ وهو قول الكلبي. ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي إلا بالأمر الحق؛ قاله مقاتل. وقيل: إلا للحق؛ قاله الكلبي والحسن. وقيل: إلا لإقامة الحق لإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته. وقد مضى هذا المعنى في «الأنبياء». ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أكثر الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

### ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ هو يوم القيامة؛ وسمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه دليله قوله: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ٣]. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنذِرُقُونَ﴾ [الروم: ١٤]. ف ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ مِقات الكل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبا: ١٧] أي الوقت المجمعول لتمييز المسيء من المحسن، والفصل بينهما: فريق في الجنة، وفريق في السعير. وهذا غاية في التحذير والوعيد. ولا خلاف بين القراء في رفع ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ على أنه خبر ﴿إِنَّ﴾ واسمها ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾. وأجاز الكسائي والفراء نصب ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾. بـ ﴿إِنَّ﴾ و﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ ظرف في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾ أي إن مِقاتهم يوم الفصل.

### ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ بدل من ﴿يَوْمَ﴾ الأول. والمولى: الولي وهو ابن العم والناصر. أي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه، ولا قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي لا ينصر المؤمن الكافر لقربته. ونظير هذه الآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] الآية. ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ رفع على البدل من المضمرة في ﴿يُنصَرُونَ﴾؛ كأنك قلت: لا يقوم أحد إلا فلان. أو على الابتداء والخبر مضمرة؛ كأنه قال: إلا من رحم الله فمغفور له؛ أو فيغني عنه ويشفع وينصر. أو على البدل من ﴿مَوْلَى﴾ الأول؛ كأنه قال: لا يغني إلا من رحم الله. وهو عند الكسائي والفراء نصب على الاستثناء المنقطع؛ أي لكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من يغنيهم من المخلوقين. ويجوز أن يكون استثناء متصلًا؛ أي لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين فإنه يؤذن لهم في شفاعته بعضهم لبعض. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه؛ كما قال: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ﴾ [الفجر: ٣] فقرن الوعد بالوعيد.

### ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِرِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء؛ إلا حرفا واحدا في صورة الدخان ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ [طعام الأئيم]؛ قاله ابن الأنباري. ﴿الأئيم﴾ الفاجر؛ قاله أبو الدرداء. وكذلك قرأ هو وابن مسعود. وقال همام بن الحارث: كان أبو الدرداء يقرئ رجلا ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ [طعام الأئيم] والرجل يقول: طعام البيت، فلما لم يفهم قال له: «طعام الفاجر». قال أبو بكر الأنباري: حدثني أبي قال: حدثنا نصر قال: حدثنا أبو عبيد قال

حدثنا نعيم بن حماد عن عبدالعزيز بن محمد عن ابن عجلان عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال: علم عبدالله بن مسعود رجلا ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ فقال الرجل: طعام اليتيم، فأعاد عليه عبدالله الصواب وأعاد الرجل الخطأ، فلما رأى عبدالله أن لسان الرجل لا يستقيم على الصواب قال له: أما تحسن أن تقول طعام الفاجر؟ قال بلى، قال فافعل. ولا حجة في هذا للجهاز من أهل الزيغ، أنه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره، لأن ذلك إنما كان من عبدالله تقريبا للمتعلم، وتوطئة منه له للرجوع إلى الصواب، واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله ﷺ. وقال الزمخشري: وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها. ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه، من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر. وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

وشجرة الزقوم: الشجرة التي خلقها الله في جهنم وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوها منها، فغلقت في بطونهم كما يغلي الماء الحار. وشبه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل، وهو النحاس المذاب. وقراءة العامة «تغلي» بالثاء (١) حملا على الشجرة. وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن ورويس عن يعقوب ﴿يَغْلِي﴾ بالياء حملا على الطعام؛ وهو في معنى الشجرة. ولا يحمل على المهل لأنه ذكر للتشبيه. و﴿الْأَثِيمِ﴾ الآثم؛ من أثم يأثم إثما؛ قال القشيري وابن عيسى. وقيل هو المشرك المكتسب للإثم؛ قاله يحيى بن سلام. وفي الصحاح: قد أثم الرجل بالكسر إثما ومأثما إذا وقع في الإثم، فهو آثم وأثيم وأثوم أيضا. فمعنى ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي ذي الإثم الفاجر، وهو أبو جهل. وذلك أنه قال: يعدنا محمد أن في جهنم الزقوم، وإنما هو الثريد بالزبد والتمر، فبين الله خلاف ما قاله. وحكى النقاش عن مجاهد: أن شجرة الزقوم أبو جهل.

قلت: وهذا لا يصح عن مجاهد. وهو مردود بما ذكرناه في هذه الشجرة في سورة «الصفات والإسراء» أيضا.

### ﴿ خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ صُبُوءٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ خُدُوهُ ﴾ أي يقال للزبانية خذوه؛ يعني الأثيم. ﴿ فَاعْتَلُوهُ ﴾ أي جروه وسوقوه. والعتل: أن تأخذ بتلابيب الرجل فتعتله، أي تجره إليك لتذهب به إلى حبيس أو بلية. عتلت الرجل أعتلته وأعتلته عتلا إذا جذبته جذبا عنيفا. ورجل معتل بالكسر. وقال يصف فرسا: نَفَرَعَهُ فَرَعًا وَلِسَانًا نَعْتَلَهُ

وفيه لغتان؛ عَتَلَهُ وَعَتَّتَهُ بِاللَّامِ وَالنُّونِ جَمِيعًا قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ. وقرأ الكوفيون وأبو عمرو ﴿ فَاعْتَلُوهُ ﴾ بالكسر. وضم الباقون (٢). ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ وسط الجحيم. ﴿ ثُمَّ صُبُوءٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ

الْحَمِيمِ ﴿١١٩﴾ قال مقاتل: يضرب مالك خازن النار ضربة. على رأس أبي جهل بمقمع من حديد، فبتمت رأسه عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصب الملك فيه ماء حميماً قد انتهى حره فيقع في بطنه؛ فيقول الملك: ذق العذاب. ونظيره ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (١٢٠) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ قَمْتُونَ ﴿١٢١﴾

قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ قال ابن الأنباري: أجمعت العوام على كسر ﴿إِنَّ﴾ وروي عن الحسن عن علي رحمه الله ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ بفتح «أَنْ»، وبها قرأ الكسائي (١). فمن كسر ﴿إِنَّ﴾ وقف على ﴿ذُقْ﴾. ومن فتحها لم يقف على ﴿ذُقْ﴾؛ لأن المعنى ذق لأنك وبأنك أنت العزيز الكريم. قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعز مني ولا أكرم؛ فلذلك قيل له ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ قال عكرمة: التقى النبي ﷺ وأبو جهل فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ لَكَ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى» فقال: بأي شيء تهددني! والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه؛ فقتله الله يوم بدر وأذله ونزلت هذه الآية (٢). أي يقول له الملك: ذق إن أنت العزيز الكريم بزعمك. وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص؛ أي قال له: إنك أنت الذليل المهان. وهو كما قال قوم شعيب لشعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] يعنون السفيف الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم. وهذا قول سعيد بن جبير. ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ قَمْتُونَ﴾ أي تقول لهم الملائكة: إن هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (١٢١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ لما ذكر مستقر الكافرين وعذابهم ذكر نزل المؤمنين ونعيمهم. وقرأ نافع وابن عامر «في مقام» (٣) بضم الميم. الباقر بالفتح. قال الكسائي: المقام المكان، والمقام الإقامة، كما قال:

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا

قال الجوهري: وأما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، لأن الفعل إذا جاوز الثلاث فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبه بينات الأربعة، نحو دحرج وهذا مدحرجنا. وقيل: المقام بالفتح المشهد والمجلس، وبالضم يمكن أن يراد به المكان، ويمكن أن يكون مصدراً ومقدر فيه المضاف، أي في موضع إقامة. ﴿أَمِينٍ﴾ يؤمن فيه من الآفات ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، متواجهين يدور بهم مجلسهم

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٢).

(٢) مرسل: عزاه السيوطي (ص ٣٦٤) في لباب النقول للطبري، عن قتادة. قلت: وهو عند الطبري (٢٥ / ١٣٨).

(٣) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٢).

حيث داروا. والسندس: ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه. وقد مضى في «الكهف».

### ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي الأمر كذلك الذي ذكرناه. فيوقف على ﴿كَذَلِكَ﴾. وقيل: أي كما أدخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم ذكره، كذلك أكرمناهم بأن ﴿زَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ وقد مضى الكلام في العين في «الصفات». والحور: البيض؛ في قول قتادة والعامه، جمع حوراء. والحوراء: البيضاء التي يرى ساقها من وراء ثيابها، ويرى الناظر وجهه في كعبها؛ كالمرأة من دقة الجلد وبضاضة البشرة وصفاء اللون. ودليل، هذا التأويل أنها في حرف ابن مسعود «بعيس عين». وذكر أبو بكر الأنباري أخبرنا أحمد بن الحسين قال حدثنا حسين، قال: حدثنا عمار بن محمد قال: صليت خلف منصور ابن المعتز فقرأ في ﴿حَم﴾ الدخان «بعيس عين. لا يدوقون طعم الموت إلا الموتة الأولى». والعيس: البيض؛ ومنه قيل للإبل البيض: عيس، واحدها يعير أعيس وناق عيساء. قال امرؤ القيس:

يُرْعَنُ إِلَى صَوْتِي إِذَا مَا سَمِعْتَهُ      كَمَا تَرْعَوِي عَيْطًا إِلَى صَوْتِ أَعْيَسَا

فمعنى الحور هنا: الحسان الثاقبات البياض بحسن. وذكر ابن المبارك أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود قال: إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم، ومن تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: إنما سميت الحور حورا لأنهن يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنما قيل لهن حور لور أعينهن. والحور: شدة بياض العين في شدة سوادها. امرأة حوراء بينة الحور. يقال: أحورت عينه أحورارا. وأحور الشيء أبيض. قال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين؟ وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر. قال: وليس في بني آدم حور؛ وإنما قيل للنساء: حور العين لأنهن يشبهن بالظباء والبقر. وقال العجاج:

بِأَعْيُنِ مُحَوَّرَاتِ حُورٍ

يعني الأعين النقيات البياض الشديديات سواد الحدق. والعين جمع عينا؛ وهي الواسعة العظيمة العينين. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مهور الحور العين: قبضات التمر، وقلق الخبز»<sup>(٣)</sup>. وعن أبي قرصافة سمعت النبي ﷺ يقول: «إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين»<sup>(٤)</sup>. وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «كنس المساجد مهور الحور»<sup>(٥)</sup> ذكره الثعلبي رحمه الله.

(١) هذا إسناد رجاله ثقات: ابن المبارك (١/ ٧٤) في الزهد.

(٢) موضوع: ابن الجوزي (٣/ ٢٥٣) في الموضوعات، وقال: «هذا حديث لا يصح، ففيه عمر بن صبح، قال ابن حبان، كان يصنع الحديث على الثقات».

(٣، ٤) ضعيف جداً: الهيثمي (٢/ ١٢) في المجمع، وقال: «رواه الطبراني وفي إسناده مجاهيل».

قلت: وانظر تنزيه الشريعة (٢/ ٣٨٣) لابن عراق.

(٥) موضوع: ابن الجوزي (٣/ ٢٥٤) في الموضوعات، وقال: إلا يصح، ففيه عبد الواحد بن زيد، قال عنه البخاري والنسائي... متروك الحديث».

وقد أفردنا لهذا المعنى بابا مفردا في كتاب «التذكرة» والحمد لله .

واختلف : أيما أفضل في الجنة؛ نساء الأدميات أم الحور ؟ فذكر ابن المبارك قال : وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم عن حبان بن أبي جبلة قال : إن نساء الأدميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا . وروي مرفوعا إن «الأدميات أفضل من الحور العين سبعين ألف ضعف» (١) . وقيل : إن الحور العين أفضل ؛ لقوله عليه السلام في دعائه : «وأبدله زوجا خيرا من زوجته» (٢) . والله أعلم . وقرأ عكرمة «بحور عين» مضاف . والإضافة والتنوين في «بحور عين» سواء .

### ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَاحَةٍ آمِنِينَ ﴾

قال قتادة : ﴿آمين﴾ من الموت والوصب والشيطان . وقيل : آمين من انقطاع ما هم فيه من النعيم ، أو من أن ينالهم من أكلها أذى أو مكروه .

### ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ أي لا يذوقون فيها الموت البتة لأنهم خالدون فيها . ثم قال : ﴿ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ على الاستثناء المنقطع ؛ أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا . وأنشد سيبويه :

من كان أسرع في تفرُّق فالجِ فلبونه جربت معاً وأعدت

ثم استثنى بما ليس من الأول فقال :

إلا كناشرة الذي ضيعتم كالعُصن في غلوائه المتنبت

وقيل : إن ﴿إلا﴾ بمعنى بعد ؛ كقولك : ما كلمت رجلا اليوم إلا رجلا عندك ، أي بعد رجلك عندك . وقيل : ﴿إلا﴾ بمعنى سوى ، أي سوى الموتة التي ماتوها في الدنيا ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء : ٢٢] . وهو كما تقول : ما ذقت اليوم طعاما سوى ما أكلت أمس . وقال القتيبي : ﴿إلا الموتة الأولى﴾ معناه أن المؤمن إذا أشرف على الموت استقبلته ملائكة الرحمة ويلقى الروح والريحان ، وكان موته في الجنة لا تصافه بأسبابها ، فهو استثناء صحيح . والموت عرض لا يذاق ، ولكن جعل كالطعام الذي يكره ذوقه ، فاستعير فيه لفظ الذوق . ﴿وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٥٦) فضلاً من ربك أي فعل ذلك بهم تفضلا منه عليهم . ف ﴿فضلاً﴾ مصدر عمل فيه ﴿يدعون﴾ . وقيل : العامل فيه ﴿ووقاهم﴾ وقيل : فعل مضممر . وقيل : معنى الكلام الذي قبله ، لأنه تفضل منه عليهم ، إذ وفقهم في الدنيا إلى أعمال يدخلون بها الجنة . ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي السعادة والريح العظيم والنجاة العظيمة . وقيل : هو من قولك فاز بكذا ، أي ناله وظفر به .

(١) ضعيف : ذكره المصنف (٢ / ٤٧٩) في التذكرة ، وقد ذكر قبله إسناداً فيه : رشدين بن سعد ، وعبد الرحمن بن أنعم وهو الإفريقي وهما ضعيفان ، والله أعلم .

(٢) صحيح : مسلم (٩٦٣) في الجنائز ، عن عوف بن مالك - رضي الله عنه

## ﴿ فَأَنَّمَا يُسْرِنَا بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَأَنَّمَا يُسْرِنَا بِلسَانِكَ ﴾ يعني القرآن، أي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي يتعظون ويتزجرون. ونظيره ﴿ وَلَقَدْ يُسْرِنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧] فختتم السورة بالحث على اتباع القرآن وإن لم يكن مذكورا، كما قال في مفتاح السورة ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] على ما تقدم. ﴿ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ أي انتظر ما وعدتك من النصر عليهم إنهم ينتظرون لك الموت؛ حكاة النقاش. وقيل: انتظر الفتح من ربك إنهم ينتظرون بزعمهم قهرك. وقيل: انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم فإنهم ينتظرون بك ريب الحدثان. والمعنى متقارب. وقيل: ارتقب ما وعدتك من الثواب فإنهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب. وقيل: ارتقب يوم القيامة فإنه يوم الفصل، وإن لم يعتقدوا وقوع القيامة، جعلوا كالمرتقبين لأن عاقبتهم ذلك. والله تعالى أعلم.